محاضرات

— في —

تاريخ آداب العرب

—«»—

١ — ماهو الادب . ماتاريخه ، من هم العرب . ما أصلهم . واين منبتهم . لِمَ سموا عرباً . طبقاتهم . امهات قبائلهم . العرب والأعراب . جزيرة العرب . حدودها . واقسامها قديماً وحديثاً ... الخ . أبحاث كثر ترددها في صدور المؤلفات الموضوعة في هذا الشأن . واحتلت من مقدماتها مكاناً فسيحاً ليس من حقها ان تحتله ، حتى أصبح الشداة من خريجي الثانويات يسأمون حشوها في آذانهم وحشدها في أذهانهم .

اذا أضفنا هذا الى مافي الساعات المرصدة لهذا العلم في هذا المعهد من القلة ، تجدنا جدّ معذورين في ان نصدف عن هذه الأبحاث وما على شاكلتها مما ليس من الموضوع في العمود ، وان نمد يدنا الى المقصود من أقرب نواحيه ، من غير ما حاجة الى ركوب الصعب والذلول من المقدمات الطويلة .

٢ — يرد العلماء اليوم اللغات البشرية الى ثلاثة أصول : السامي . والآري . والطوراني . ويعدون العربية من الأصل السامي . واذا اعتبرنا اللغة البابلية الاولى التي عُثِر على بقيتها في آثار الدولة الحمورية — هي الأصل السامي الذي انشقت منه اللغات المنسوبة اليه ، يترجح عندئذ أن العربية أقرب أخواتها الى ذلك الأصل ، او انها هي الاصل نفسه ، تقلبت في اطوار ، وتنقلت في احوال ، وحدثتها القرون الخالية بالصقال . حتى وصلت

(١) دروس الاستاذ طه بك الراوي عضو المجمع العلمي العربي واستاذ التفسير في جامعة آل البيت سابقاً والآداب العربية في دار المعلمين اليوم .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الى ماوصلت اليه الآن . ذلك لأن العلماء رأوا مشابهة واضحة بين العربية الحاضرة والبابلية الاولى . ووجدوا في هذه كلمات ، وعلامات ، واصولاً ، وقواعد ، هي نفسها موجودة في العربية مع خلو سائر اخواتها السامية منها . أو هي موجودة فيها مع تحريف وتحوير ، ليسا بالبعيدين .

فمن وجوه المشابهة بين العربية المضرية والبابلية ، حركات الاعراب ، فانها في البابلية كما هي في العربية . ولا أثر لها في سائر اللغات السامية . ومن هنا يظهر ان الاعراب عريق في العربية عرفها وعرفته قبل أن يعرفهما التاريخ . ومن وجوه المشابهة علامة الجمع السالم فانها في اللغتين (و ن) . وصيغ الافعال في اللغتين متقاربة جداً . والتنوين في البابلية ميم ساكنة . والميم اخت النون في العربية . وكثيراً ما تتبادلان مثل (عنبر) تنطق (عمبر) ومن امثلة الكلمات التي جاءت في اللغتين معاً من غير ما تحريف : أنف ، عنب ، بلال ، صعصعة ، نسر ، شمس . الى غيرها من الكلمات التي لاتختلف شيئاً في اللغتين .

اذا أضفنا هذا الى مايراه المحققون من أن مهد العنصر السامي جزيرة العرب ، يتبين لنا جلياً صدق ماذهبنا اليه من ان اللغة العربية هي العمود الذي انشعبت منه سائر اللغات السامية . او لا أقل من أنها أقرب اخواتها كلها الى الاصل الاول المندثر على تقدير وجوده . والعلماء يعللون ذلك بكون العربية المضرية عاشت في معظم عصورها متبدية ، والبداوة حرز حريز لما تحوطه بعنايتها وتربيه في حجرها من اللغات ، إذ من البديهي أن اللغة تتلون بتلون العمران . وتصطبغ بصبغة الحضارة التي تعيش في اكنافها . وأين العمران والحضارة من المهامه الفيح ، والصحارى التي تحار فيها الريح !! .

٣ — ليس معنى كون العربية أصلاً . أو قريبة من الاصل أن هذه اللغة المضرية اليعربية التي تحوكها اقلامنا ، وتلوكها افواهنا ، هي تلك الام القديمة على ما كانت عليه في مهد حياتها . حفظتها لنا القرون الخالية ، فأدتها الينا مصونة من التحوير والتغيير . لا . وانما المقصود ان الشعب العربي الذي مازال ولم يزل يحتفظ بجزيرته ، مهد العنصر السامي . احتفظ بأم لغات هذا العنصر . وان تلك الام تطورت من حال الى حال ، وتعهدتها الاجيال بالصقال ، ولم تزل تتنازعها عوامل البسط والقبض ، والرفع والخفض ، الى ان تناولتها يد النهضة الاسلامية . فجمعت شملها ، ولمت شعثها ، وزادت في ثرائها ، وبالغت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

في نمائها ، ثم وطدت قواعدها ، وضبطت اصولها وفروعها ، واحاطتها بعظيم رعايتها وشملتها بجليل حمايتها ، الى ان بلغت مابلغت من البسطة في السلطان ، والكثرة في الاعوان . واتسع صدرها للعلوم المختلفة من بين شرعية ولسانية ، وفلسفية ، وغيرها ، وبلغت يوم ذاك شأواً قصياً لم تصل اليه لغة من لغات العالم التي كانت تعاصرها .

فاذا انت القيت نظرة اليها وهي زاخرة بالعلوم والفنون في العصر العباسي تجدها اوسع رقعة منها في العصر الاموي . وهي في العصر الاموي ، وصدر الاسلام ، أفسح مجالاً منها في الجاهلية يوم كانت منعزلة في زوايا الجزيرة . وقس على ذلك حالها في الجاهلية الآخرة بالنسبة الى حالها في الجاهلة الاولى .

وبالجملة فان اللغة تنبسط بانبساط اهلها في الحضارة والعمران ، وتنقبض بانقباضهم . وترتقي بارتقائهم ، وتنخفض بانخفاضهم . وهي — بعد — كائن حي معروض لعوامل التركيب والتحليل . والتجدد والدثور . وسائر العوامل التي تخضع لها الاحياء من هذا القبيل . واهم علائم الحياة في اللغة نشاط عاملي التجدد والدثور في بنيتها كالانسان في عنفوان شبابه . فتستغني عن الفاظ وتراكيب ، وتضم الى نفسها الفاظاً وتراكيب ، حسبما تقضي به عوامل النشوء والارتقاء ، او كما يقولون : حسبما يتطلبه قانون الانتخاب الطبيعي . ومن هذا نعلم ان لغة العرب اليوم تختلف عنها بالامس .

٤ — وليس في مقدور الباحث اليوم ان يحيط علماً بكل ماتقلبت عليه هذه اللغة من أطوار التهذيب ، ومامرت به من عوامل النماء ، والتوسيع . ولكن يمكن ان يقال على سبيل الاجمال أن أطوار تهذيبها وعوامل نمائها وتوسيعها ، تابعة لتطور أحوال المتكلمين بها . فاذا علمنا — مثلاً — ان دولة حمورابي التي وصلت الى ماوصلت اليه من رفعة الشأن ، والتبسط في العمران — عربية النجار ، نعلم عند ذاك ان هذه اللغة نالت على عهد هذه الدولة قسطها من التهذيب والنماء يقدّران بمقدار ما أحرزته تلك الدولة من سعة العمران ، وقوة السلطان . ويقال مثل ذلك في الدول العربية الاخرى ، التي ظهرت لمع من اخبارها من خلال غبار العصور الخالية ؛ مثل دولة العماليق في مصر المعروفة عند اليونان بأسم (الهيكسوس) . ومثل دولة معين في اليمن ، وسائر الدول اليمانية التي تبسطت في الفتوح ، وتوسعت في الحضارة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن هذا يتبين ان معرفة اطوار التهذيب لهذه اللغة تستمد من تاريخ الامة العربية فلنترك هذا الجانب للباحث في تاريخ العرب . على انه لا يفوتنا ان اطوار التهذيب ليست قاصرة على ماتتقلب عليه الامة من الاحوال السياسية . بل هناك تطورات لها شأنها خارجة عن هذه . منها : اتصال العرب بغيرهم بالمجاورة ، والمتاجرة ، وما الى ذلك . ومنها انتشار القبائل في انحاء الجزيرة ، وانفراد كل قبيل بمحاسن من القول يغبطه عليها القبيل الآخر . ومنها الأسواق المشهورة ، والمجامع المذكورة . مثل عكاظ . ومجنة . وذي المجاز . ومنها ، الحج . وغير ذلك من المجتمعات .

هذا أمر تطورها في الجاهلية وأما في الاسلام فلأطوار التهذيب تاريخ واضح المنهج . سنلم به في غير هذا الموطن ان شاء الله تعالى .

٥ — أما عوامل النماء في اللغة فكثيرة أهمها : الاشتقاق ، والنحت ، والقلب ، والابدال ، والاشتراك ، والتضاد ، والترادف ، والمجاز ، والكناية ، والاصطلاح ، والتوليد ، والتعريب ...

واذا أنعمت النظر في هذه العوامل تجدها على قسمين : قسم منها يرجع الى بنية اللغة مثل الاشتقاق . وقسم تستمده اللغة من الخارج مثل التعريب . وهذا أشبه شيء بكيفية نماء الاجسام الحية . فان وسائل نمائها على درجتين : الاولى تمثيل الأغذية التي تستمدها من الخارج . والثانية تحصل بتكاثر الخليات بانقسام الواحدة منها الى اثنتين . ثم انقسام كل من الاثنتين وهكذا ...

١ — الاشتقاق :

يقول الصرفيون : ان الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقها في أصل المادة والمعنى ، ليدل بالثانية على المعنى الاصلي ، مع زيادة مفيدة ، لاجلها اختلفت حروفها ، أو حركاتها أو هما معاً ، مثل كتب من الكتابة ، وقرأ من القراءة . وبعبارة أخرى : هو رد لفظ الى آخر لمناسبة بينهما في المعنى والحروف الاصلية .

وقد ذكروا له نوعين : الاول الاشتقاق الأصغر وهو المشهور بين علماء العربية . واذا أطلق الاشتقاق ينصرف اليه . والثاني الاشتقاق الاكبر . وأهم مميزاته عن سابقه انه لا يشترط فيه الترتيب في الحروف بين المشتق والمشتق منه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والمذهب المعول عليه بين علماء العربية ان الكلم بعضه مشتق وبعضه غير مشتق ، وذهبت طائفة من المتأخرين الى ان الكلم كله مشتق . وهذا مذهب غير مفهوم لانه لو كانت كل لفظة فرعًا من غيرها للزم الا يكون هناك أصل ، وهذا محال . اللهم الا اذا قالوا : ان المراد بذلك ان الكلمة لاتخلو من احد أمرين : اما ان تكون مشتقة أو مشتقًا منها . فحينئذ يمكن ان يذكر قولهم هذا مع الأقوال . ويحتمل المناقشة والجدال ، وتذهب طائفة ثالثة الى انه ليس هناك اشتقاق ما وان الألفاظ كلها أصل ، وهو قول بعيد عن التحقيق .

ثم ان التغييرات بين المشتق والمشتق منه في الاشتقاق الأصغر تنحصر في وجوه : الاول — زيادة حركة في المشتق مثل (عَلِم) من (العِلْم) . الثاني — زيادة حرف فيه مثل (طالب) من (الطلب) . الثالث — زيادة حركة وحرف معًا مثل (ضارب) من (الضرب) . الرابع — نقص حركة منه (كالفرس) من (الفرس) . الخامس — نقص حرف منه مثل (ثبت) من (الثبات) . السادس — نقص حركة وحرف معًا مثل (نزا) من (النزوان) . السابع) نقص حركة وزيادة حرف مثل (غضبي) من (الغضب) . الثامن — زيادة حركة ونقص حرف مثل (حُرم) من (الحرمان) . التاسع — زيادة حركة وحرف ونقصها مثل (استنوق) من (الناقة) . العاشر — تغاير الحركتين مثل (بَطِر) من (البطر) . الحادي عشر — نقص حركة وزيادة أخرى وحرف ، مثل (اضرب) من (الضرب) . الثاني عشر — نقص حرف وزيادة آخر ، مثل (راضع) من (الرضاعة) . الثالث عشر — نقص حرف وزيادة آخر وحركة ، مثل (خاف) من (الخوف) . الرابع عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حركة فقط ، مثل (عِدْ) من (الوعد) فان فيه نقص الواو وحركتها وكسر العين بعد ان كانت ساكنة . الخامس عشر — نقص حركة وحرف وزيادة حرف ، مثل (فاخر) من (الفخار) .

وانما أشرنا الى هذه التغيرات المتنوعة لندل على مافي هذا الباب من السعة ، وانه من أكبر الأبواب التي تنهض باللغة وتمدها بمعين لا ينضب .

اما الاشتقاق الاكبر فيشترط فيه حفظ أصل المادة دون تقلبات الهيئة ، مثل تقليب مادة (ق و ل) على وجوهها الستة المحتملة : ولق . لقو . . . الخ وهي في كل هذه التصاريف

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تدل على الخفة والسرعة . قال ابوحيان النحوي : وهذا مما ابتدعه الامام ابوالفتح بن جني . وكان شيخه ابوعلي الفارسي يأنس به في بعض المواضع .

والذي يتقرى كلم اللغة العربية بانعام نظر ، يجد ان لمعظم موادها اصلاً يرجع اليه كثير من كلماته ان لم نقل كلها ، خذ على ذلك مادة (ف ل) ومايثلثهما تجد الجميع تدور حول معنى الشق والفتح . مثل : فلح ، فلج ، فلع ، فلق ، فلذ ، فلي . ومثل ذلك مادة (ق ط) وما يثلثهما تقول : قط ، قطع ، قطر ، قطف ، قطن ... الخ وكلها بمعنى لانفصال .

وأول من فتح باب هذا النوع من الاشتقاق ابو الفتح ايضاً ، وللعلامة الزمخشري ولوع فيه ، تجد ذلك كثيراً في كشافه ، ويذهب بعض اللغويين الى أن هذا الأصل جارٍ في كل تراكيب المواد اللغوية ولو بضرب من التأويل الا قليلاً . وهذا مذهب لايخلو من المبالغة ، اذ ان كثيراً من مفردات اللغة دخل عليها من لغات أخرى ثم صار مع الزمان كأنه منها في الصميم . ولايمكن في حال من الأحوال ان يرد الى أصل من أصولها . وللغفلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين يتمحلون لبعض الكلمات اشتقاقات أقل مايقال فيها انها من المضحكات . حكي عن بعضهم انه سئل عن اشتقاق الجرجير — نوع من النبات — فقال : سمي بذلك لان الريح تجرجره اي تجره . وسئل عن اشتقاق الجرة ، فقال : لانها تجر على الارض . ويقول انما سمي الثور ثوراً لانه يثير الارض للحرث ، الى أمثال هذا الهذيان والأعجب ان بعضهم يتكلف للأعلام العجمية ضروباً من الاشتقاق تتقاطر السخافة من أطرافها . ولا نعدم في هذا العصر أناساً من هذا القبيل . فقد بلغني ان بعضهم سئل عن البنجرة — وهي كلمة يستعملها الأتراك للنافذة — فقال : انها من فنجر الرجل اذا فتح عينيه ، لان النافذة تكون مفتوحة ، فاقرأ واعجب .

ولمكانة هذا الباب في علم العربية أفردوه بالتأليف وأحاطوه بالعناية الواسعة ، وممن الف فيه الأصمعي ، ومحمد بن المستنير المعروف بقطرب ، وابوالحسن الأخفش ، وابونصر الباهلي ، والمفضل بن سلمة ، والمبرد ، وابن دريد ، والزجاج ، وابن السراج ، والرماني ، وابن النحاس ، وابن خالويه وغيرهم . هذا زيادة على ماجاء به الصرفيون في كتبهم من التحقيق والتمحيص . وأكبرهم عناية في ذلك امام الصرفيين وسندهم ابو الفتح بن جني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الموصلي . وقد ألف فيه بعض المعاصرين من أعلام الشام كتاباً نفيساً يعدُّ آية في بابه . هذا وان العصر الذي نحن فيه يتطلب من هذا الباب فضل توسع ، وبذل عناية ، لأن المعاني الجديدة المتدفقة ، والمبدعات العصرية المتكاثرة ، تتطلب من الألفاظ ما تعيا به مفردات اللغة اذا لم تفزع الى هذا الباب فتوسع منه ما ضيقه غلاة المحافظين ، ثم تستمد منه العون ، فتجد منه خير معين وأقوى نصير .

ثم ان هذا الباب أوسع من ان يحاط به في مثل هذه العجالة ، ولكنا نظرنا اليه من بعض نواحيه التي تتعلق بموضوعنا وتركنا التفاصيل للكتب الموضوعة فيه .

٢ — النحت :

قد يعمد العربي الى كلمتين فأكثر ، فيقتطع منها حروفاً يؤلف منها كلمة جديدة يدل بها على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، أو على معنى آخر قريب من معنى ما اقتطعت منه ، فيقول في النسبة الى عبد شمس ، عبشمي — مثلاً — كما يقول : (بسمل) يريد انه قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسمون العجوز الضخابة الكثيرة الهذر : صهصلق ، أخذاً من (صهل) ، و (صلق) ، بمعنى صات صوتاً شديداً .

وقد أطلق علماء العربية على هذا النوع من العمل اللغوي النحت ، لان العربي ينحت من الكلمتين كلمة ، وفي هذا العمل من الفوائد مافيه مما يرمي الى امداد اللغة بالثراء ، زيادة على مافيه من الاختصار بكون الكلمة الجديدة تدل على جملة من القول ، فقولنا: (بسمل) مثلاً أخصر بكثير من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم .

ولم يضع له الأوائل قواعد واضحة ، ولذلك اعتبره بعض النحاة سماعياً ، وقل الاعتماد عليه عند المتأخرين من العلماء ويظهر من كلام ابن مالك في تسهيله انه يعتبر هذا الباب قياسياً في باب النسبة ، ولكن ابا حيان أنكر عليه ذلك وقال ان هذا الحكم لا يطرد ، وانما يقال منه ماقالته العرب فقط والمحفوظ منه — عند ابي حيان — عبشمي ، في النسبة الى عبد شمس . وعبدري ، في عبد الدار . ومرقسي ، في امرئ القيس . وعبقسي ، في عبد القيس . وتيملي ، في تيم الله . هذا ما أورده ابو حيان من المسموع في باب النسبة من المنحوت . ومعلوم ان النحت في غير باب النسبة أكثر منه في بابها فقد قالوا هلل ، وأكثر من الهيللة ، اذا قال : لا اله الا الله ، وحولق ، وأكثر من الحولقة ، وحوقل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(انكر بعضهم ان يقال حوقل . وعده من الغلط وليس بشيء لانه جرى على ألسنة كبار اللغويين . ومن حفظ حجة على من لم يحفظ) واكثر من الحوقلة . اذا قال : لاحول ولا قوة الا بالله . ومنه حمدل حمدلة : قال : الحمد لله . وحسبل حسبلة ، قال : حسبي الله . وحيعل حيعلة قال : حي على الصلاة . حي على الفلاح . وحي على كذا . قال الشاعر :

اقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي

وجعفد جعفدة . قال : جعلت فداك . ودمعزة دمعزة قال : دام عزك وطلبق طلبقة . قال : اطال الله بقاك . ومشكن مشكنة . قال : ما شاء الله كان . وكبتع كبتعة . قال : كبت الله عدوك . وسمعل سمعلة . قال : السلام عليكم وقالوا : حبرم القدر اذا وضع فيها حب الرمان . وامثلة ذلك كثيرة . حتى ذهب ابن فارس وجماعة من المحققين الى ان الاسماء الزائدة على ثلاثة احرف اكثرها منحوت . مثل قول العرب : رجل (ضبطر) أي شديد . أو ضخم مكتنز اللحم منحوت من ضبط وضبر . بمعنى اشتد خلقه وتوثق . قال : ومنه اسد (صلدم) ورجل صلدم أي صلب . منحوت من . صلد وصدم . (وبعثر) منحوت من بعث واثير . (وبحثر) من بحث واثار .

ويرى الخليل ان النحت يجيء في الحروف . قال : اصل لن . (لاأن) فخففت فصارت لن وقد حدث لها بالتركيب معنى جديد في الجملة ...

وللنحت يد سموح في امداد اللغة بالثروة ، ولاسيما لغة العلم . ولكن بعض المتأخرين من النحويين . حالوا بين أهل العلم وبينه بقولهم انه باب سماعي ، وبذلك أوصدوه في وجوه القوم على حين الحاجة ماسة الى فتحه وتوسيعه بقدر المستطاع لمعالجة الفاقة اللغوية تجاه المعاني العلمية التي فاض فيضها وعب تيارها في هذا العصر .

مالنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام اللغة العربية باب تتنفس منه هرعوا اليه وسدوه على زعم انهم يخدمونها بالمحافظة عليها وسد مسالك العجمة عنها وماأشبه عملهم هذا بعمل تلك الصينية التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتها وجمالها ، ولم تدر انها سوف يأتي عليها زمن تفقد فيه هاتان القدمان قوتهما وتعجزان عن القيام بوظائفهما ، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق من القوم يوصدون عليها أبواب القياس ويأخذون عليها مجامع الطرق على زعم انهم يحرسونها ويحافظون على

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

نضارتها ويبقون على غضارتها ، وفاتهم أنهم بهذا الصنيع يعملون على إماتتها بإماتة عناصر الحياة فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها ، وانهم لا يزالون يضيقون عليها السبل حتى يقول المرجفون والذين في قلوبهم مرض انها أصبحت لغة مصابة بفقر الدم ، وذبول الخليات ، ومنيت بسائر أعراض الهرم فصارت عاجزة عن ان يتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة والعلوم العصرية المتدفقة بالمصطلحات وبذلك يسجلون عليها عجزها وهي غير عاجزة وفقرها وهي غير فقيرة ، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون انهم قائمون على خدمتها ، وهم في وأدها مشتغلون ، والفقر في تفكيرهم ، ولكنهم لا يعلمون .

٣ — القلب :

هو تقديم بعض حروف الكلمة على بعض ، وبذلك تتولد كلمة جديدة تتفق مع أصلها في مادة الحروف وتختلف عنها في الترتيب مثل : صاعقة ، وصاقعة ، وخطيب مصقع ، ومصقع ، ويئس وأيس ، وعاث في الارض ، وعثا فيها ، وأثول ، والوث ، ونزغ الشيطان بينهم ، ونغز ، وهو يتسكع ويتكسع اذا تحير ، ومرزاب السطح ، ومزراب ، وكلام وحشي ، وحوشي ، وهم الأوباش والأوشاب ، اي الأخلاط من الناس .

وأمثلة هذا الباب كثيرة ذكر منها الجلال السيوطي في المزهر جملة صالحة ، وقد ألف فيه ابن السكيت كتاباً خاصاً ، وعقد له ابن دريد في جمهرته باباً على حدته ، وكذلك فعل ابو عبيد في كتاب الغريب المصنف .

وليس في هذا الباب كبير فائدة من حيث الثروة للغوية الا من ناحية الالفاظ ، اما المعاني فانها لا تتكثر به ، اذ المقلوب والمقلوب عنه يدلان على معنى واحد ، فان جذب ، وجبذ ، يدلان على معنى واحد وان تعددا لفظاً .

ويذهب البصريون من النحويين الى ان معظم ما يسميه اللغويون قلباً ليس به ، وانما هو من باب تعدد اللغات . فجبذ عندهم - مثلاً — لغة قبيلة وجذب لغة قبيلة أخرى . وعلى هذا يكون الكثير مما يظنون ان القلب قد دخله ليس بذاك . ولا يتحقق القلب عند هؤلاء الا اذا تم لاحدى اللفظتين من التصاريف مالم يتم للأخرى ، فعندئذ يعتبرون اللفظة ذات التصريف التام أصلاً وذات التصريف الناقص فرعاً ، مثل يئس وأيس فانهم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لما وجدوا للاولى منهما مصدراً وهو اليأس ، ولم يجدوه للثانيـة ، قالوا ان الاولى أصل والثانية فرع ، وليس هناك فائدة مهمة من وراء هذا الخلاف الاَّ من وجهة واحدة وهي انه : هل كانت القبيلة الواحدة من العرب تستعمل اللفظين معاً ، أو كانت تستعمل لفظاً واحداً منهما . واللفظ الثاني تستعمله قبيلة أُخرى ، سيأتي في باب المترادف مايلقي شيئاً من النور على هذه المسألة لان اللفظين في هذا الباب لايخرجان عن كونهما مترادفين ، سواء قلنا بالقلب أو بتعداد اللغات .

٤ — الابدال :

عرفنا ان القلب نقل حرف من موضعه الى موضع آخر من الكلمة نفسها فتولد من ذلك كلمة جديدة ، وبعبارة أُخرى تصير الكلمة الواحدة كلمتين .

اما الابدال فهو ان ترفع حرفاً وتضع غيره موضعـه ، فتتولد من ذلك كلمة أُخرى تدل على عين ماتدل عليه الاولى من المعنى ، فهو أخو القلب من ناحية أثره في الثروة اللفظية للغة دون المعنوية منها .

وقد اختلفوا فيه كما اختلفوا في القلب فقال فريق المبدل والمبدل منه يقعان في لغة القبيـلة الواحدة ، فالقبيلة التي تقول (صراط) مثلاً هي نفسها التي تقول (سراط) ، ويذهب المحققون الى ان العرب لاتتعمد تعويض حرف من حرف ، وانما هي لغات مختلفة لفظاً ، لقبائل مختلفة ، تدل على معاني متفقة ، بان تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى انهما لايختلفان الا في حرف واحد ، وعلى هذا لاتتكلم القبيلة الواحدة بكلمة (صراط) — مثلاً — طوراً بالصاد وطوراً بالسين ، انما يقول هذا قوم وذاك قوم آخرون .

ومن أمثلة هذا الباب ، قولهم : ضربة لازب ، ولازم ، وتلعثم ، وتلعذم ، والقطر ، والقتر ، للناحية . وجمعها أقطار وأقتار . والحثالة ، والحفالة ، الرديء من كل شيء . والثوم ، والفوم ، وهو الحنطة . واللثام ، واللفام . وبعثر ، وبحثر ، ومدَّ الحرف ، ومطَّه . والثرى ، والبرى ... الخ .

والأمثلة كثيرة تكاد تفوت الحصر ، حتى قال بعض المحققين قلما تجـد حرفاً الا وقد جاء فيه البدل ولو نادراً ، يريد به البدل ، السماعي . اما ما يذكره الصرفيون من ان حروف الابدال تسعة (ء ا ت د ط م ه و ي) فانهم يريدون به الابدال القياسي وهو

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مفصل في كتبهم وليس من موضوعنا الإفاضة فيه . وللابدال السماعي دواعٍ كثيرة . منها : سهولة النطق باحد الحرفين المبدل أو المبدل منه . ومنهـا — وهو أهمها — البيئة فان لها الأثر البين في تنشئة الألسن ولهذا نجد القبائل اليمانية مثلاً تختلف في كثير من الألفاظ عن القبائل الحجازية ، فان هؤلاء ينطقون السين شيناً فيقولون النـاس مثلاً ، واولئك يقلبونها تاءً فيقولون النات ، وهؤلاء يقولون : لبيك وسعديك — مثلاً — واولئك يقولون : لبيش وسعديش ، بقلب الكاف شيناً ، وهي شنشنتهم .

وسنعرض لهذا البحث في باب اختلاف لغات القبائل ونمنحه فضل ايضاح ان شاء الله تعالى .

« للبحث صلة »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net